قضايا الجولان في أغنياته الوطنية
(تحليل مضمون أغاني الجولان في الإذاعة السورية)

الدكتورة أمل حمدي دكاك*

الملخص

يتناول البحث جانباً مهماً في الأغنية السورية، وهي الأغنية التي تجسد في كلماتها الجولان المحتل .

يقوم البحث بتحليل مضمون الأغنية الموجهة إلى الجولان وتعرف الموضوعات ذات الصلة بالجولان في الأغنية السورية. فالقضايا التي يعيشها أهل الجولان المحتل تُشكل مسألةً مهمةً على الصعيد السياسي والوطني والإنساني والاجتماعي والديني.

أعتمد البحث طريقة تحليل المضمون وتم اعتماد التحليل الكيفي للموضوعات الرئيسية للأغاني.

وخُلص البحث إلى مجموعة من النتائج التي تؤكد أهمية الأغنية الموجهة إلى الجولان.

* قسم علم اجتماع- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

مقدّمة:

تؤدي الأغنية دوراً أساسياً في تنمية المشاعر والأحاسيس المرتبطة بموضوعها، خاصة بالنسبة إلى فئات الشباب في سن الفتوة حيث تأخذ معالم الشخصية بالتبلور والوضوح، فتتأثر بالنماذج الاجتماعية السائدة الأكثر انتشاراً في الوسط الاجتماعي، ففي حين تنمو معارف الشباب من خلال التعلم وتنمو قدراتهم على التفكير من خلال عمليات التعليم والتعلم، فإن المشاعر والأحاسيس التي تحدد طبيعة الانتماء تنمو من خلال الأغنيات والأهازيج الشعبية التي يرددها أبناء المجتمع المحلي، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، وهي نتاج لثقافة المجتمع، وتسهم في تعزيز المشاعر المشتركة والأحاسيس المتقاربة التي تجعل أبناء المجتمع الواحد يتحسسون مشكلاتهم بطرائق متشابهة، وكثيراً ما شكلت الأغنية عاملاً من عوامل توحيد الجماعات والتقارب بينها لما تحمله في مضمونها من مشاعر وطنية أو إنسانية أو أخلاقية.

وتأتي الأغنيات العربية السورية لتجسد قضايا المجتمع السوري، وتحمل مشكلاته، ولما كان الجولان العربي السوري جزءاً لا يتجزأ من قضايا المجتمع السوري، فقد استحوذ على اهتمام الأغنية السورية في الإذاعة حتى باتت له مكتبته

الخاصة به، وهي تنطوي على أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية متعدّدة تماثل ما للجولان العربي السوري من أبعاد في حياة المجتمع السوري.

أخذ الخطر الصهيوني يزداد في المنطقة العربية منذ بدايات القرن العشرين، ويأتي احتلال الجولان العربي السوري، واحتلال مدينة القدس الشريفة، وصحراء سيناء العربية في وقت واحد عام 1967 في سياق تطور المشروع الصهيوني المتنامي على حساب العرب والقضايا العربية، فتم احتلال الجولان بخيراته وثرواته وغلال أرضه وثمار بساتينه ومياهه ووديانه وينابيعه، وأخذ العدو الصهيوني يدمر خلال عدوانه مدن الجولان وقُراه كلّها، وقتل العديد من أهل الجولان واعتقل الكثيرين منهم، وبدأت رحلة من القمع والألم والاحتلال فقد شرعت سلطات الاحتلال تنتهج سياسة الأرض المحروقة في محاولة لطمس معالم المنطقة وتاريخها وهويتها، وبدأ العدو الصهيوني بتدمير متعمد للقرى والمزارع والمدن المحتلة والبالغ عددها أكثر من 164 قرية و 146 مزرعة ومدينتي القنيطرة وفيق باستثناء خمس قرى هي: (مجدل شمس وبقعاثا وعين قنية ومسعدة والفجر) التي بقي أهلها بصمودهم في وجه الاحتلال يمثلون شموخ الإنسان العربي السوري وتوقه للحرية، وسطر أهل الجولان أسطورة في التشبث بالأرض والقومية العربية والتراث العربي السوري .

هدمت "إسرائيل" القرى العربية باستثناء ماتبقى من أكوام الحجارة البازلتية السوداء وبقايا أشجار السنديان والليمون والكروم والتين. "وحولت القرى الأخرى إلى أراضٍ زراعية يستثمرها سكان المستوطنات وأطلقت عليها أسماء عبرية ، وحرقت الغابات واقتلعت الأشجار وزرعت الألغام إضافة إلى إلقاء مخلفات مصانعها السامة والكيميائية المشّعة ونقلها التربة الخصبة إلى المستوطنات الإسرائيلية وتسريبها المخلفات والنفايات الكيماوية من المصانع الإسرائيلية والمشاريع الزراعية والإنتاجية والسياحية وغير ذلك من الممارسات الإسرائيلية التعسفية والغاشمة" . (الإبراهيم، 2003، 12) .

إن الموقع الجغرافي المتميّز للجولان هو أحد الأسباب التي دفعت بسلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى الإقدام على عدوان حزيران "فالأطماع الصهيونية في الجولان قديمة تعود إلى مرحلة ما قبل مؤتمر بال بسويسرا عام 1897 حين كشف زعماء الحركة الصهيونية عن أطماعهم بالجولان ومنهم (هوراسكالين) الصهيوني الأمريكي ولورانس أوليفانت وغيرهم، (الابراهيم، 2003، 12)، فقد أعد أوليفانت كتاباً في عام 1771 دعا فيه اليهود إلى استعمار سورية الجنوبية وأرفق به خريطة تشمل المنطقة من غزة إلى جبيل، ومن بعلبك مروراً بدمشق والجولان وحوران عن طريق الحج.

وقد بدأت الحركة الصهيونية محاولة اغتصاب موطأ قدم لها (الجولان) منذ عام 1887 حين أنجزت إعداد خرائط للجولان وحوران وحددت عليها أكثر من مئة موقع من بينها اثنا عشر موقعاً ادّعت أنها تضم رموزاً يهودية، أمَّا ديفيد بن غوريون فقد رسم حدوداً للدولة اليهودية عام 1918 يقول عن الدولة التي رسمها إنها تضم النقب برمته ويهودا والسامرة والجليل وسنجق حوران وسنجق الكرك (معان والعقبة وجزءاً من سنجق دمشق) لأقضية القنيطرة ووادي عنجر وحاصبيا وفي العام ذاته وجّه مذكرة إلى حزب العمال البريطاني يطالب فيها بالسيطرة على هضبة الجولان ومن ثمَّ السيطرة على مياه نهر اليرموك ومنابع نهر الأردن، أمَّا " هرتزل" في روايته (الأرض القديمة) الصادرة عام 1902 فقد رسم صورة روائية لإسرائيل الكبرى ذات مساحة جغرافية أكبر بكثير من مساحة فلسطين المحددة فيما بعد تحت الانتداب البريطاني فهي تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر الفرات شرقاً وإلى بيروت وجبل لبنان وجبل الشيخ في اتجاه الشمال.

أولاً - الأصول النظرية للبحث:

تستحوذ الأغنية على اهتمام الباحثين والمفكرين الاجتماعيين والتربويين بوصفها واحدة من العوامل التي تنمي العواطف الإنسانية والمشاعر الوجدانية،

بالإضافة إلى دورها في تنمية مشاعر الانتماء للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، فهي نوع من أنواع الأدب التي تجسد طبيعة ارتباط الفرد ببيئته الاجتماعية والمكانية بأشكالها المختلفة، وترتبط منذ طفولته وفي مراحل حياته كلّها، فهي إحدى الوسائل المهمة التي تعبّر عن انفعالاته، ولا يمكن إغفال أهميتها ودورها في إكساب الإنسان القيم الوطنية والتربوية والمعرفية والاجتماعية والإنسانية على اختلاف مراحله العمرية. ممَّا جعل الثقافات الإنسانية على اختلاف تاريخها تولي اهتماماً كبيراً بالأغنية وما تنطوي عليه من مفاهيم وتصورات تجسد طبيعة ارتباط الإنسان بالأشياء المحيطة به، فضلاً عن أنَّها تسهم في تعزيز مشاعر الارتباط هذه لدى الأبناء الذين تأخذ شخصياتهم بالتبلور والوضوح، ممَّا يعطي للأغنية أهمية كبيرة في هذا الخصوص، وخاصة المرتبطة منها بتعزيز مشاعر الانتماء والولاء.

أ. الأبعاد التربوية في الأغنيات الوطنية :

ينطوي تفاعل الطفل مع الأغنيات التي يرددها على أبعاد تربوية واجتماعية ووجدانية متعدّدة، شأنها في ذلك شأن الأشكال الفنية المختلفة للكلمة المنطوقة أو المسموعة أو المرئية، قد يأتي في صورة قصة أو حكاية أو مسرحية، أو يحكي قصة مغامرات أو بطولات أو قصة تاريخية أو تهذيبية أو أنشودة أو أغنية، يستهوي الأطفال ويمتعهم، ويحقق رسالته الجمالية، شأن الفنون كلها، فينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ثم يستهدف عن طريق التسلية والمتعة والمرح أن يقطر في نفوسهم تجارب البشر (المشرفي، د.ت).

وبالنظر إلى أهمية أدب الأطفال في تعزيز القيم والمبادئ في وعيهم، ومع ظهور الاهتمام به بوصفه اختصاصاً حديثاً يحاول اكتشاف أفضل الطرق لتوجيه الأبناء من خلال مجالاته المتعدّدة التي تأتي القصيدة والأغنية واحدة منها، فمن المتوقع أن تأخذ الشعوب به بوصفه وسيلة أساسية لجذب أبناء اليوم، ورجال مستقبلها، لما يعزز انتماءهم وولاءهم، وينمي مشاعر التضحية لبناء الحضارة التي يتطلعون

إليها، وتزداد هذه المسألة أهمية في المجتمع العربي حيث يعدُّ أدب الأطفال وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى القيم العربية الأصيلة المتأصلة، وإلى المبادئ الإسلامية النبيلة السامية وإلى المحبة والتعاون والإخلاص والعمل المشترك، وإلى نبذ الخلافات والحروب، وإلى تطوير المعارف والعلوم (عبد الفتاح، 2000، 12).

وتتميّز الأغنية عن سائر أشكال أدب الأطفال في أنَّها تحمل خصائص القصيدة ولكنها منطوقة تجذب مشاعر الطفل وأحاسيسه على إيقاعات موسيقية تسهم في ترسيخ ما تحتويه من مبادئ في مشاعر الطفل وأحاسيسه فضلاً عمَّا ترسخه في وعيه، فالشاعر الذي يعدُّ القصائد يضع في اعتباره الكثير من الحقائق والأمور التي تؤثر في وعي المستمع طفلاً كان أو كبيراً بحسب فئة عمره، ومستواه الفكري والتعليمي، واللغوي والنفسي وغير ذلك (مرتاض، 1994، 62)، أمَّا تأثر الأطفال بالشعر فيأتي من خصوصية المرحلة العمرية التي يعيشون فيها، والمليئة بالعواطف والمشاعر والأحاسيس، فعالم الأطفال هو عالم متحرك مشحون بالعواطف المتغيّرة باستمرار، لأن من سمات الطفولة التغيّر باستمرار وعدم الثبات على رأي واحد، والميل إلى المثير والمدهش، والمعرفي والمسلي والمغذي في وقت واحد (رمضاني، 1994، 48).

كما يؤدي الشعر دوراً كبير الأهمية في تعزيز ارتباط الإنسان بالأرض والمكان الذي نشأ فيه، فهو يأخذ من عناصر الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة مادته وموضوعاته، وقلما خلا أدب أي أمة من شعراء أحبوا طبيعة بلادهم، وتغنوا بها في أشعارهم تعبيراً عن انفعالهم بمشاهدها، أو تمجيداً لها، أو إظهاراً لمدى قدرتهم على التصوير (عتيق، 1976، 284).

إن الاهتمام بثقافة الأطفال وتوجيه مشاعرهم وأحاسيسهم بما ينسجم والدور الملقى على عاتقهم مستقبلاً، بات موضع اهتمام الباحثين والمفكرين والشعراء والأدباء على اختلاف مدارسهم، ومجالات أدبهم، بهدف تمكين الطفل العربي من الوقوف مستقبلاً سداً منيعاً ضد المحاولات الكثيرة لعمليات الغزو الثقافي الغربي الذي يحاول طمس معالم

الهوية العربية والإسلامية في شخصية الأبناء، هذه الحضارة التي أسهمت في تطور الحياة العلمية المتمثلة اليوم في التطور التكنولوجي الواسع، (دياب، 1995، 13).

ويمكن إيجاز أهم الوظائف الأساسية التي تؤديها الأغنية بالنسبة إلى الأطفال خلال مراحل تنشئتهم الاجتماعية وتربيتهم في جملة من الوظائف التي تأتي في مقدمتها الوظائف الآتية:

1. يمكن للأغنية، ومشاركة الأطفال مع بعضهم بصوت مرتفع أن تسهم في تجاوز مشكلة التردد والخوف لدى بعض الأطفال، فقد يجد بعض الأطفال صعوبة في التكيف مع البيئة المدرسية، أو أيّة بيئة جديدة، فتبدو عليه ملامح عدم التوافق، وما إنْ يندمج مع أصدقائه في تقديم أغنية مشتركة حتى تأخذ ملامح عدم التكيف بالتراجع، وتنمو لديه مشاعر الثقة بدرجة أكبر.
2. تساعد الأغنيات التي تؤلَّفُ بلغة سليمة على إكساب الطفل حصيلة لغوية جيدة تساعده على النطق السليم، فعملية الحفظ التي يقوم بها الطفل في أثناء الغناء تجعل رصيده من الكلمات أكبر، مما يساعده في امتلاك رصيد من الكلمات يساوي في قيمته قيمه ما حفظه من أغانٍ وقصائد شعرية يمكن أن تصبح أغاني فيما بعد.
3. تسهم الأغاني في إطلاق ما لدى الطفل من مشاعر مكبوتة وأحاسيس يصعب عليه التعبير عنها بالطرائق المباشرة لما قد يترتب عليها من مسؤوليات اجتماعية أمام الآخرين، فالتحدث بصوت مرتفع قد يدفع إلى تفريغ الشحنات العاطفية والانفعالية التي يكتسبها خلال تفاعله مع الآخرين ولا يقوى على التعبير عنها.
4. تنمي الأغنيات التي يرددها الطفل مشاعر ارتباطه مع الجماعات التي ينتمي إليها، وخاصة تلك التي تردد معه الأغنيات نفسها، بشكل جماعي، أو بشكل مستقل، وتصبح عاملاً أساسياً من عوامل ارتباطه مع هذه الجماعة لما تحمله هذه الأغنيات من مشاعر وجدانية وعاطفية.

5. وتزداد هذه الأهمية وضوحاً عندما تأتي الأغنية في سياق أحداث مشتركة تهدد أمن الجماعة بكليتها، فتنمو مشاعر الانتماء والارتباط بالمجتمع الأم على نحو جماعي يتجلى في انتشار الأهازيج الجماعية والأغنيات الوطنية، حتى أن الكثير من الجنود يرددون الأغنيات الوطنية خلال دفاعهم عن أراضيهم وبلادهم، وتصبح هذه الأغنيات عاملاً من عوامل وحدتهم وتنمية مشاعرهم الوطنية والوجدانية والإنسانية.

ب. إذاعة دمشق والأغنية الوطنية الموجهة إلى الجولان:

تمتاز الإذاعة بتأثيرها الشديد في الجمهور من الناحية النفسية والاجتماعية، وقد اهتم الكتّاب والشعراء في سورية بالأغنية الوطنية إيماناً منهم بدور الأغنية في غرس القيم والاتجاهات،ومنذ افتتاح إذاعة دمشق في 4 شباط 1947 وحتى الآن كتب كثير من الكتّاب للوطن وللقضايا الوطنية والقومية. فالأغنية الوطنية السورية تميّزت بتاريخ بدأ مع بدايات النضال من أجل التحرير والاستقلال منذ أواخر عهد الدولة التركية ومرحلة الاستعمار الفرنسي، وقد بدأت "الأغنية الوطنية" ببعض الأهازيج التي تناقلتها الذاكرة الوطنية دون أن يُعرف كاتبها أو ملحنها، ومن أوائل الأهازيج أهزوجة رددتها جماهير دمشق في أثناء اقتياد الأبطال المناضلين ضد الاحتلال التركي إلى ساحة المرجة يوم السادس عشر من أيار عام 1916 وتقول الأهزوجة (بوبس 2012 ، 1):

"زيّنـــــوا المرجـــــة
والمرجـــــة لينـــــا
شـــــامنا فرجـــــة
وهـــــيّ مزينـــــة"

وبعد رحيل تركيا عن سورية وقيام المملكة السورية بزعامة الملك فيصل ظهرت أول أغنية ملّحنة:

ســـــيروا للحـــــربِ طـــــراً

سـيروا للمجـد
واسـتعيدوا بالمواضـي
أيـام العـرب

وفي مرحلة الاحتلال الفرنسي لسورية ظهرت بعض الأهازيج التي تتحدث عن نضال الشعب السوري ضد المستعمر الفرنسي، من أشهرها تلك التي انتشرت بين الناس صغاراً أو كباراً عندما اعتقل المناضل إبراهيم هنانو :

طيـارة طـارت بالليـل
فيـها عسكـر فيـها خيـل
فيها إبراهيم هنانـو راكب على حصانو

ومثلت أغنية (يا ظلام السجن) التي كتبها ولحنها نجيب الدبس حركة المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي.

أمَّا أغنية (بلاد العرب أوطاني) فمثلت الأغنية الوطنية وتجسيدها لوحدة الأمة العربية. وكان لما قدّمه سلامة الأغواني دوراً مهماً سياسياً واجتماعياً. وترك الأخوان فليفل بصمة لا تنسى بألحانهما الوطنية. ومنها (موطني) و(حماة الديار عليكم سلام) فضلاً عن ألحان الرحابنة التي غنتها السيدة فيروز في الشآميات (قرأت مجدك) و(شآم يا ذا السيف لم يغب) وسائليني يا شآم، يا شام عاد الصيف وأحب دمشق...الخ. خبطت قدمكم على الأرض هدارة التي ارتبطت ببدء الحرب في السادس من تشرين الأول 1973 . وتجسد أغنية سوريّة يا حبيبتي انتصار حرب تشرين وتحرير القنيطرة من براثن العدو الصهيوني .

فقد عبرّ كاتبو الأغنية الوطنية وملحنوها ومغنوها من خلال أغانيهم عن حبهم وانتمائهم إلى وطنهم سورية. والأغنية الوطنية لا يقتصر غناؤها في المناسبات بل

يغنيها الناس حتى في الأفراح وفي السفر وفي الرحلات وفي ديار الاغتراب مما يدلُّ على حبهم للأغنية الوطنية.

ج- الأغنية الجولانية في التراث:

إن واقع الجولان من خلال الاحتلال الإسرائيلي وصمود أهله وتمسكهم بهويتهم السورية وانتمائهم إلى الوطن الأم سورية دفع كتّاب الأغنية السورية إلى كتابة كلمات تعبّر عن هذا الواقع وتبعث الأمل بتحرير الجولان والعودة إليه بعد غياب سنوات بسبب الاحتلال.

وتمتاز أغنية الجولان منذ القديم بأنها جزء مهم من التراث الشعبي بتنوعه وغناه، فكان لأغنية الجولان كلماتها وألحانها التي تعبّر عن الأغنية الشعبية فتنوعت الأغاني مثل أغاني القطاف، وأغاني الحراثة، وأغاني العتابا والموليا، وأغاني الأفراح والأحزان والسمر وغيرها ..

"ويكاد لا يخلو من الغناء يوم في حياة سكان الجولان وأغنى هذه الأوقات بالغناء الذي هو من أدب الشعب غناء الحفلات والأعياد التي تغني للحياة بجميع صورها وأشكالها، تغني للأرض والإنسان والحيوان وما بينهما من مساحات واسعة للإبداع الفني، والغزل هو من أوسع هذه الموضوعات لما له من تأثير على تفجير الطاقات والمواهب" (رمضان، والحسين، 2010، 49).

والشاعر الشعبي في الجولان فتنته طبيعة الجولان بجمالها المتجدد مع تغيّر الفصول. ومن الألحان المشهورة لحن ظريف الطول:

" يـــا ظريـــف الطـــول تنـــده يـــا كواكـــب
تـــشبه حتـــى الـــشمس نجـــوم وكواكـــب
وإنـــــي مقـــــدملك مثـــــل كواكـــــب
أمّ عيـــــون الـــــسود خلقـــــة ربنـــــا "

ومن الأغاني الجميلة أيضاً أغاني الحصاد والحراثة، فالفلاح ينطلق في الصباح إلى أرضه التي يتمسك بها وتعطيه الخيرات ، ولأغاني الحصاد في الجولان مكانتها عند الفلاح المتمسك بأرضه لما لحبة القمح المباركة من أهمية في تأمين الأمن الغذائي لحياة الإنسان. ويعد القمح من أهم المنتجات الزراعية في الجولان وخاصة في منطقة الزوية الواقعة إلى الجنوب من الجولان.

"ومن الغناء عن الفلاح الجولاني ما يحضُّه على التبكير إلى الأرض أي قبل طلوع الشمس .

قلبي علـــى صـــويحب يـــا ضـــو القمـــر
والـــــشمس مـــــا تبـــــدي عليـــــه

ويرمي الفلاح البذار في الحقل وهو يغني :

" الله يا مـــرزق الطيـــر فـــــي ظـــــلام الليـــــل
يا الله يا مـــرزق الـــدود مـــــن حجـــــر الجلمـــــود
يا مطعم الهاجم والناجـــم واللي نايم على خروبة زرّه"

(رمضان ، الحسين، م.س، 51)

ثانياً - الأطر المنهجية للبحث:

أ. مشكلة البحث:

تنطوي مشكلة البحث على جانبين أساسيين، الأول الجانب الكمي الذي يتمثل في قلة عدد الأغنيات السورية التي تولي اهتمامها بقضايا الجولان العربي السوري، والثاني نوعي يتعلق بمضمون الأغنيات السورية ذات الصلة بقضايا الجولان، فمن حيث عدد الأغنيات يلاحظ أن قضية الجولان مازالت أكبر من حجم الأغنيات ذات الارتباط به، ومازال عدد الأغنيات المرتبطة بالجولان قليلاً قياساً إلى سنوات احتلال الجولان منذ عام1967 وحتى الآن، وقياساً إلى الأغاني المرتبطة بالقضية الفلسطينية، وقضايا الصراع العربي الصهيوني، فهناك الكثير من الأغاني الوطنية والأغاني التي تخص القضية الفلسطينية، وقضايا الصراع العربي الصهيوني، وخاصة في مكتبة

الأغاني العربية.بينما مازالت الأغنيات ذات الصلة بالجولان قليلة مما يدعو المعنيين إلى ضرورة الاهتمام أكثر في هذا المجال وتشجيع مؤلفي الأغاني وملحنيها إلى ضرورة تقديم المزيد مما يتصل بقضايا الجولان، وبما يناسب حجم القضية بالنسبة إلى المجتمع السوري.

أمَّا الجانب الثاني المرتبط بمضمون الأغنية المرتبطة الجولان العربي السوري وقضاياه، فإن هذه الأغنية تحمل في مضمونها قيماً مختلفة، اجتماعية وإنسانية ووطنية، ولا بدَّ أن تحمل قيماً خاصة تربط الجولان بالوطن الأم، وتذكر الأجيال الجديدة بالجولان وبالنضال من أجل استعادة الحق المغتصب للأرض، ويمكن تحديد مشكلة البحث بالإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي: ما مضمون الأغنيات العربية السورية المرتبطة بقضايا الجولان العربي السوري؟

ب. تساؤلات البحث:

تتحدد مشكلة البحث بالتساؤل الرئيس الآتي: "ما مضمون الأغنيات العربية السورية المرتبطة بقضايا الجولان العربي السوري؟"، وتتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية الآتية:

1. ما طبيعة القضايا السياسية المرتبطة بمفهوم الجولان ؟
2. ما طبيعة القضايا الوطنية المرتبطة بمفهوم الجولان ؟
3. ما طبيعة القضايا الاجتماعية المرتبطة بمفهوم الجولان ؟
4. ما طبيعة القضايا الإنسانية المرتبطة بمفهوم الجولان ؟
5. ما طبيعة القضايا الدينية المرتبطة بمفهوم الجولان ؟

ج. أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي يعالجه وهو الجولان والأغنية السورية، فالجولان هو قلب سورية، انتزعته الأيادي الصهيونية من جسده الأم سورية... ومعاناة الأهل في الجولان لم تنته منذ الاحتلال وحتى الآن. حيث يقف

الأهل في الجولان المحتلّ بشموخ في تصديهم لكل ما يرتكبه العدو الصهيوني من مجازر ومن انتهاك لحقوق الإنسان الجولاني...

من هنا فإن الأغنية الموجهة إلى الجولان، تكتسب أهمية خاصة بقدر حجم النضال في الجولان وبقدر المعاناة التي يعيشها الأهل في الجولان، فنشر هذه المعاناة وتأكيد الحق في تحرير الجولان وعودته إلى الوطن الأم ، ونشر كل ما يتعلق بالجولان أرضاً وشعباً واحتلالاً ومعاناة من خلال الأغنية يساعد على بث الوعي لدى الأجيال بموضوع الجولان، فالأغنية تزود الجمهور المستمع على اختلاف مراحله العمرية بالمعارف، وزيادة وعيه بقضاياه المصيرية ومنها قضية الجولان. وتنمي لديه الشعور باستعادة الأرض المغتصبة .

د. أهداف البحث:

هدف البحث إلى تعرّف الموضوعات ذات الصلة بالجولان في الأغنية السورية:

1. التعرف إلى الموضوعات الوطنية ذات الصلة بالجولان.
2. التعرف إلى الموضوعات الاجتماعية ذات الصلة بالجولان.
3. التعرف إلى الموضوعات الإنسانية ذات الصلة بالجولان.
4. التعرف إلى الموضوعات الدينية ذات الصلة بالجولان.
5. لفت أنظار المعنيين والمهتمين بالأغنية السورية والكتاب والملحنين إلى ضرورة الاهتمام بالأغنية الموجهة إلى الجولان.

ثالثاً- الدراسات السابقة :

بعد البحث عن دراسات سابقة تبيّن أن الدراسات نادرة وما توافر في هذا المجال دراسة للباحث الموسيقي أحمد بوبس ودراسة أخرى للباحثين محمد خالد رمضان وعبد الله ذياب الحسين .

أ. الدراسة الأولى: "من التراث الشعبي في الجولان، دمشق 2010" (رمضان وحسين، 2010):

دراسة شارك فيها كل من محمد خالد رمضان وعبد الله ذياب الحسين، يبحث الكتاب في التراث الشعبي الجولاني الذي عمل الباحثان على جمعه" وجمع تراث الجولان الشعبي له أهمية خاصة لظروف الجولان، وظروف أهله ، فالقسم الأكثر من الجولان ما زال تحت الاحتلال الإسرائيلي الغاشم وأهل هذا القسم مشردون قي أكثر من محافظة من محافظات الجمهورية العربية السورية، وما يخفى ما للنزوح من أثر سلبي في التراث الشعبي والإنسان. أولاً لطول المدة والبعد الزمني عن المكان، فالنزوح حصل عام 1967 .. وخلال ذلك مات الكثير من كبار السن من الرجال والنساء، واكتسب اليافعون عادات وقيماً جديدة وضعفت ذاكرة الذين ظلوا على قيد الحياة".

وقد استطاع الباحثان جمع ما استطاعوا جمعه من التراث الشعبي في الجولان. وقد بحثت هذه الدراسة في الآلات الموسيقية التراثية، والرقص الشعبي في الجولان، وموضوعات الغناء الشعبي في الجولان وموضوعاته والأمثال الشعبية، والحزازير الشعبية، والمعتقدات الشعبية

من خلال البيئة والظروف والسكان، والحكاية الشعبية في الجولان، وخصائص اللهجة في الجولان فسكان الجولان يتميزون بعدة لهجات عربية وذلك بحسب انتماءاتهم .

ب. الدراسة الثانية: فلسطين في الأغنية العربية (بوبس، دمشق،2011):

تبيّن الدراسة أن الأغنية الوطنية احتلت مساحة واسعة من الغناء العربي، وتناولت الأغنية الوطنية في موضوعاتها القضايا الوطنية والقومية العربية وبشكل خاص مكافحة الاستعمار الذي رزحت تحت نيره معظم البلدان العربية في النصف الأول من القرن العشرين، وكان للغناء الوطني دوراً مهماً في إزكاء روح النضال

عند الشعب العربي في مختلف أمصاره، وكانت بدايات ظهور الأغنية الوطنية في أواخر مرحلة الحكم التركي في الوطن العربي ، لكنها كانت على شكل أهازيج شعبية.

ويبيّن الباحث أن الأغنية الوطنية تطورت بعد قيام ثورة 23 تموز في مصر وتناولت في موضوعاتها القضايا الوطنية والقومية مثل الجزائر التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي، وقضايا الوحدة العربية والتحرر العربي.

لكن القضية الفلسطينية كانت الأكثر استحواذاً على اهتمام الأغنية الوطنية، فمنذ الأيام الأولى لنكبة فلسطين عام 1948 بدأت الأغنية الوطنية توجه اهتمامها نحو القضية الفلسطينية، وطالبت هذه الأغنيات كلّها بتحرير كامل فلسطين من أيدي الصهاينة وعودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه، كما تناول الباحث الأغنيات المرتبطة بالقضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة العربية وتحدثت عن مأساة الشعب الفلسطيني في ظل التشرد، وركز على مبدأين ثابتين هما عروبة فلسطين وحق عودة شعبها بكامله إليها. وتركزت الأغنيات عن فلسطين في ثلاثة بلدان هي مصر، ولبنان، وسورية. ويذكر في الفصل الأول أن الموسيقار محمد عبد الوهاب كان أول من لحن وغنّى لفلسطين ونكبتها في مصر، كما كان الشاعر علي محمود طه أول الشعراء المتفاعلين مع القضية الفلسطينية، فنظم قصيدة فلسطين وتدعو هذه الأغنية كل عربي إلى أن يحمل السلاح من أجل تحرير فلسطين من الصهاينة.

ويستعرض بعض الأناشيد مثل (ناصر كلنا منحبك) ونشيد (أكبر حب). الذي كتب كلماته حسين السيد ولحنه محمد عبد الوهاب عام 1965 يقول المقطع :

وحيـــاة حبـــك لأجـــل عيونـــك

يا فلسطيـــن

أخي أيها العربي الأبي أرى اليوم موعدنا لا الغدى

راجعيـــن ، راجعيـــن ، راجعيـــن

جيـــش تحريرك ف ايدو وايدنـــا

بكـــره ح نعلـــن عيـــده وعيدنا
يـــوم ح يكسر ليلـــه
وينـــور قناديـــله

ثم يتحدث عن ثاني الأغنيات التي ظهرت في مصر عن فلسطين (يا مجاهد في سبيل الله) التي كتب كلماتها بيرم التونسي ولحنها رياض السنباطي وغنتها سعاد محمد في "فيلم فتاة من فلسطين".

وتظهر سعاد محمد واسمها سلمى في الفيلم في قطار قادم من فلسطين يحمل اللاجئين الفلسطينيين إلى مصر وتؤدي أغنية مليئة بالخوف والشجن، فقد هربت بعد أن قتل الصهاينة جميع أفراد أسرتها وحاولوا اغتصابها، لكن والدها استطاع قبل استشهاده أن يقتل مجموعة من الصهاينة قبل أن يفعلوا ذلك.

كلمات الأغنية تبعث الحماس في المقاتلين الذاهبين إلى فلسطين وصوتها يحث العرب على الدفاع عن فلسطين .

ثم يذكر أغنية وهي قصيدة (وردة من دمنا) للشاعر اللبناني بشارة الخوري التي لحنها وغناها فريد الأطرش ثم أغنية أم كلثوم التي كتب كلماتها نزار قباني (أصبح عندي الآن بندقية). ومن الأغاني الوطنية لأم كلثوم (راجعين بقوة السلاح) ظهرت هذه الأغنية خلال حرب الاستنزاف التي خاضها الجيش العربي المصري بعد نكسة حزيران ضد العدو الصهيوني ويشيد البطولات التي سطرها الجيش المصري على الجبهة.

ثم يبيّن بعض المطربين مثل عبد الحليم حافظ في أغنية ثورتنا المصرية، حيث تُذكرُ فلسطين في المقطع الرابع، ونشيد (وطني الأكبر) الذي غناه مجموعة من نجوم الغناء، ونشيد (مطالب شعب) كلمات أحمد شفيق كامل ولحن كمال الطويل وغناء عبد الحليم حافظ. وفي هذا النشيد يطالب عبد الحليم الزعيم جمال عبد الناصر باسم الفلسطينيين تحرير فلسطين وعودتهم إلى أراضيهم حين يقول:

باسم اللاجئ باسم حقوقه في فلسطين
باسم دمانا بالشهداء الفدائيين
عايزين عايزين يا أمل ملايين
العودة العودة لأراضينا
نرجع وياك للقدس هناك
ولحيفا ويافا تعود لينا
قــدها وقــدود يا بطل موعـــــــود

وبعد ذلك يعرف بأغنية (أنا العطشان ومالیش میه إلا فلسطين) التي كتب كلماتها فؤاد حداد ولحنها وغناها سيد مكاوي .

في الفصل الثاني يبحث المؤلف في عطاء الأخوين عاصي ومنصور الرحباني في مجال الغناء عن فلسطين حيث اتصفت أعمالهم بالمستوى الرفيع، واللغة الأدبية الجميلة الراقية، والأداء الجميل المعبر، سواء من قبل السيدة فيروز أو غيرها من المطربين والمطربات. وكانت أعمالهم كلّها باللغة العربية الفصيحة ماعدا أغنية (شوارع القدس العتيقة) فجاءت باللغة المحلية.

ويقول عن الأسلوب اللغوي لأعمال الرحابنة إنه يراوح بين الرمزية والمباشرة، ففي الأعمال ذات الطابع الرمزي استخدم الرحابنة لغة فلسفية تستعير الرموز لتعبّر عن الحالة مثل اسكتش جسر العودة ومغناة راجعون.

في كلمات جسر العودة :

عبرت من بوابة الدموع
إلى صقيع الشمس والبرد
لا أهل في خيمتي وحدي
عشرون عاماً وأنا
يسكنني الحنين والرجوع

وعبَّرَ الرحابنة عن حلم العودة إلى فلسطين بأساليب شتى كما في قولهم ...

سنرجع يوماً إلى حيّنا
ونغرق في دافئات المنى
سنرجع مهما يمر الزمان
وتنأى المسافات بيننا

ويذكر كل من الجانب الإنساني والديني في أعمال الرحابنة.

أمَّا في الفصل الثالث والأخير فيذكر كيف فتحت سورية قلبها لاستقبال الإخوة الفلسطينيين المشردين قسراً من أراضيهم، وكيف تفاعل الفنانون السوريون مع الحدث الفاجعة، ومن ثمَّ كان أول ظهور للغناء عن فلسطين على أيديهم .

فقد كتب الفنان عبد الغني الشيخ (الشاعر الغنائي والملحن) أول أغنية قصيرة مؤلفة من مقطعين يقول فيها:

يا فلسطين جينا لك
جينا وجينا لك
كلنا رجالك جينا لك
لنشيل حمالك جينا لك

وهذه الأغنية أذيعـــت في إذاعتي دمشـــق وبيروت في 15 أيار 1948، ثم لحن أغنية أخرى مطلعها (قلبي حزين يا فلسطين).

ويتحدث عن الفنان سلامة الأغواني الذي هاجم المستعمر الفرنسي بمونولوجات كثيرة أقضت مضجعه. وشغلت القضية الفلسطينية الفنان سلامة الأغواني كغيره من الفنانين يقول مطلع مونولوج عن فلسطين:

رب تساعد ربي تعين
هالمظلومة فلسطين

ويذكر أيضاً رفيق شكري في قسم العودة ونجيب السراج في أغنية ترى هل نعود. وعبد الفتاح سكر وسهيل عرفة الذي لحن أوبريت الغضب من نظم الشاعر

يوسف الخطيب وغناها مجموعة من الفنانين. وكذلك الأغنية التي لحنها سمير كويفاتي بعنوان (أجراس بيت لحم).

ج- التعقيب على الدراسات السابقة:

بذل الباحثان محمد خالد رمضان وعبد الله ذياب الحسين جهداً متميّزاً في محاولة جمع تراث الجولان الذي يتعلق بالحكايات والرقص الشعبي والأغنية والأمثال الشعبية وغير ذلك.

وبذل الباحث الموسيقي أحمد بوبس جهداً في توثيقه للأغنية التي تناولت فلسطين من خلال الفنانين وكُتّاب الأغاني.

وبذلك حفظ هؤلاء الباحثون ما قُدم في مجال الأغنية. ولكن تفتقر الدراستان إلى منهج علمي وإلى تحليل مضمون الأغنية، وافتقرت إلى نتائج ومقترحات فضلاً عن أن الدراسة الثانية لم تتناول الأغنية الموجهة إلى الجولان والدراسة الأولى تناولت الأغاني القديمة التي تؤلف جزءاً مهماً من تراث الجولان وليس الأغنية الموجهة للجولان المحتل بوضعه الراهن .

وقد استُفِيْدَ من هاتين الدراستين وستتناول الدراسة الحالية مالم يُبحث سابقاً، وهذا هو الجديد في البحث " قضايا الجولان في أغنياته الوطنية " من خلال تحليل مضمون الأغاني الموجهة إلى الجولان بعد عام ألفٍ وتسعمئة وسبعة وستين أي بعد احتلال الجولان ، ولدراسة ومعرفة إلى أي مدى تتناول الأغنية السورية الموجهة إلى الجولان طبيعة القضايا السياسية والوطنية والاجتماعية والإنسانية والدينية المرتبطة بمفهوم الجولان، ومن أجل لفت أنظار المعنيين بالأغنية بأهمية الأغنية الموجهة إلى الجولان ومن ثمّ التوصل إلى نتائج يُفاد منها مستقبلاً على صعيد الأغنية السورية .

رابعاً- تحديد مفاهيم البحث:

أ. أغنية الجولان: هي أغنية موجهة بكلماتها إلى الجولان المحتل .

ب. القضايا الوطنية:

ما تتضمنه الأغنية من قيم وطنية منها الارتباط بالأرض، والهوية، ومقاومة الاحتلال، وحق استعادة الأرض، وعروبة الجولان، وعدم المساومة عليه.

ج. القضايا السياسية:

وتتضمن ارتباط الجولان بالدولة الأم سورية، وتعزز ارتباط أهلها بها، وارتباط الجولان العربي السوري بالدولة الأم، بما فيها من ثقافة وحضارة.

د. القضايا الاجتماعية:

ما تتضمنه مفردات الأغنية من قيم اجتماعية تتعلق بمحبة أهل الجولان بعضهم بعضاً، وتماسكهم من أجل استعادة الأرض ، وتنمية الروح الجماعية لديهم وقيمة الجولان بأرضها وإنسانها .

هـ القضايا الإنسانية:

ما تتضمنه أغنية الجولان من قيم تتعلق بالحرية والكرامة ومحاربة الظلم والعدوان والشوق والحنين إلى أرض الجولان .. الخ.

ز. القضايا الدينية: وهي ما تتضمنه أغنية الجولان من مفردات قيمية تتعلق بالإيمان بالله.

خامساً - الإجراءات المنهجية للبحث :

أ. المجتمع الأصلي للبحث :

يضم المجتمع الأصلي للبحث الأغاني الموجودة في مكتبة إذاعة دمشق كلّها والخاصة بالجولان، وتُبث هذه الأغاني في (إذاعة دمشق البرنامج العام،وإذاعة صوت الشباب، وإذاعة صوت الشعب) في أوقات مختلفة، بحسب المناسبات الوطنية، وقد بلغ مجموع الأغاني الموجهة إلى الجولان (23) أغنية، كما هو موضح في الجدول رقم (1):

ب. عينة البحث:

شملت عينة البحث مسحاً شاملاً للأغاني الموجودة في مكتبة إذاعة دمشق، وبلغ عددها (23) أغنية خاصة بالجولان العربي السوري.

ج. المنهجية المعتمدة في تحليل مضمون أغاني الجولان:

اعتمد البحث في تحليل مضمون أغاني الجولان طريقة المسح الشامل للعبارات الواردة فيها كلها، وصُنِّفَتْ بحسب مضمونها، حيث وُصِّفَتْ كل عبارة بذاتها وصُنِّفَتْ في السياق الذي جاءت فيه، فالعبارة رقم (1) في أغنية الأرض أرضي مثلاً تتضمن ما يدلُّ على حب الأرض ومشروعية الكفاح من أجلها، ولكن العبارة جاءت في سياق وطني مما جعلها تنمي إليه كموضوع رئيس، ويصبح حب الأرض موضوعاً فرعياً، بينما جاءت العبارة (3) لتؤكد حب الأرض مرة أخرى، ولكن في سياق اجتماعي، "أرض أبائي وأجدادي" ممَّا جعلها تتدرج في إطار الموضوع الاجتماعي، في حين يصبح حب الأرض في هذا السياق موضوعاً فرعيا من الموضوعات الاجتماعية، ولهذا يلاحظ أن الموضوع الفرعي الواحد يمكن أن يأتي في سياقات مختلفة، فحب الأرض جاء في سياق اجتماعي تارة، وفي سياق وطني تارة أخرى، ويلاحظ في هذه الأغنية أن الموضوع الاجتماعي استحوذ على موضوعين فرعيين هما الارتباط بمفهوم العدالة، وحب الأرض، وجاء الموضوع السياسي في ست عبارات، كانت أربع منها تتعلق بتعزيز الثقة بالانتصار، مقابل موضوعين فرعيين يعززان الشعور بالانتماء، وإلى جانب ذلك تنطوي الأغنية على موضوع رئيس يعزز حب الوطن بشكل مباشر تارة كما هو الحال في استخدام تعبير "موطني" وتأكيد حب الأرض تارة أخرى.

جدول رقم (1) يبين الأغاني السورية الخاصة بالجولان والموجودة في مكتبة الإذاعة

الرقم	اسم الأغنية	غنـــاء	كلمـــات	ألحـــان	المـــدة
1-	سورية الأمجاد	جوقة القديسة تريزا	د. رامي سباط	شادي نجار	5,55 د
2-	الأرض أرضي	المجموعة	هيثم السباعي	هيثم السباعي	4,56 د
3-	الجولان	جلال سالم	خليل عيلبوني	الأب كميل اسحق	4,54 د
4-	أنا والجولان	هلال أسعد	محمد الصمدي	جورج نعمة	5,25 د
5-	أنا جولانية	سحر المسبلاني	سحر المسبلاني	سحر المسبلاني	3,53 د
6-	اسمك غالي	جان خليل	وائل مرتضى	يوسف البدر	4,31 د
7-	الله أكبر	غازي خطاب	أيمن ماردیني	حمادة شبارة	3,18 د
8-	الجولان	أحمد الحاج علي	أحمد الحاج علي	أحمد الحاج علي	5.20 د
9-	لالا	نسيم الأمين	فادي خير بك	فادي خير بك	4,05 د
10-	لا تحزني	فاتن سلامي	نضال حسن	نضال حسن	4,13 د
11-	في عيوني يا جولان	فرقة البراعم (الأطفال)	ياسر عبد الكريم عساني	ياسر عبد الكريم عساني	5,41 د
12-	أبشر يا جولان	حسان عمراني	أحمد نعمان	حسان عمراني	4,07 د
13-	جولان قطعة من الجسد	وسيم سمعان	وائل عثمان	مارون رمال	5,36 د
14-	سوري يا جولان	ريبر وحيد	ريبر وحيد	ريبر وحيد	3.06 د
15-	الجولان	اسماعيل عباس	علي اسماعيل	غياث عباس النقري	2,47 د
16-	خلي النار حصانك	زاهر روجيه	منير سالم	محمد عبود محمد	3,53 د
17-	اسكتش قمر الجولان	المجموعة	د. طلعت الرفاعي	ماجد زين العابدين	8,10 د
18-	جولان وأنت عزنا	ايهاب فهد بلان	سعدو الذيب	سعدو الذيب	5.08 د
19-	سطوح الجولان	مجموعة أطفال	سعدو الذيب	سعدو الذيب	3,32 د
20-	أرض الجولان تنادينا	بسام حسن	صالح هواري	ماجد زين العابدين	4,52 د
21-	يا نسر الجولان	جلال سالم	عبد الجليل وهبي	سمير مجدي	2,35 د
22-	فتح يا زهر الجولان	عيسى مسوح	مصطفى الحاج	ممدوح رزق	4,25 د
23-	عالجولان	معين الحامد	حسن حسن	غياث النقري	5,15 د

ولهذا لم يستخدم البحث أداة محددة مبنية على توجهات مسبقة للباحث كما هو الحال في كثير من دراسات تحليل المضمون، إنما مبدأ استنطاق النص بذاته من جهة، وفي السياق الاجتماعي أو السياسي أو الوطني الذي يحتضنه من جهة أخرى. وفي هذا التوجه لا يمكن استخدام أداة مسبقة لأنَّها تحدد مسارات البحث وفق توجهات مختلفة تماماً عن التوجهات التي يتطلع إليها البحث الحالي.

سادساً - الموضوعات الرئيسة المرتبطة بقضايا الجولان:

تركز مضمون الأغاني السورية المرتبطة بالجولان في الموضوعات الرئيسة الآتية: (القضايا السياسية، والوطنية، والإنسانية، والاجتماعية، والدينية).

جاء الموضوع السياسي في المرتبة الأولى وشكل نسبة مئوية قدرها (28.010%)، تلاه الموضوع الوطني بنسبة مئوية قدرها (22.25 %)، ثم الإنساني بنسبة مئوية قدرها (19.63%)، وفي المرتبة الرابعة الموضوع الاجتماعي (18.32%)، وجاء في المرتبة الرابعة والأخيرة الموضوع الديني بنسبة مئوية قدرها (11.780%)، كما هو موضح في الجدول رقم (3):

الجدول رقم (2)

يبين طريقة توصيف عبارات الأغنية في الموضوعات الفرعية وتصنيفها في سياقها كموضوع رئيس

العبارة	العبارة	الموضوع الفرعي	الموضوع الرئيس
1	الأرض أرضي والكفاح مبدئي وشعاري	حب الأرض	وطني
2	درب النضال في وطني مكلل بالغار	الثقة بالانتصار	سياسي
3	أرض آبائي وأجدائي وميلاد انتصاري	حب الأرض	اجتماعي
4	لن يسود الظلم ..لا.. لا.. لن يسود	الارتباط بالعدالة	اجتماعي
5	بالإرادة سوف نكسر القيود	الثقة بالانتصار	سياسي
6	موطني يا قبلة الثوار	حب الوطن	وطني
7	موطني يا قبلة الأحرار	حب الوطن	وطني
8	لا لا لن يطول انتظاري	الثقة بالانتصار	سياسي
9	في فلسطين.. وفي الجولان	الشعور بانتماء	سياسي
10	وفي لبنان.. وفي العراق مقاومة	الشعور بالانتماء	سياسي
11	مقاومة مقاومة.. لا تقبل المساومة	الثقة بالانتصار	سياسي

جدول رقم (3)

يبين الموضوعات الرئيسة في الأغنية المرتبطة بالجولان .

الموضوعات الرئيسة المرتبطة بالجولان	عدد التكرارات	النسبة المئوية
الموضوع السياسي	107	28,010
الموضوع الوطني	85	22,25
الموضوع الإنساني	75	19,63
الموضوع الاجتماعي	70	18,32
الموضوع الديني	45	11,780
المجموع	382	%100

وبلغ مجموع الموضوعات الفرعية المتضمنة في الموضوعات الرئيسة (40) موضوعاً ضمت 382 تكراراً شملت ما يأتي:

أ. الموضوع السياسي:

بلغ مجموع الموضوعات الفرعية المتضمنة في الموضوع السياسي في كلمات الأغنية السورية الموجهة للجولان المحتل (15) موضوعاً ضم (107) تكرارات ..

ضمت الأغاني ذات البعد السياسي مفردات تعبّر عن الهوية ــ المقاومة ــ مقاومة الاحتلال ــ عروبة الجولان ــ العدو واغتصاب الأرض ــ عودة الجولان إلى الوطن الأم ــ عدم المساومة على الجولان ــ المجد والنصر لتراب الجولان ــ النصر آت ــ التاريخ النضالي للجولان ــ حل مسألة الجولان بيد أهله ــ عدم الرضا بالحلول الاستسلامية ــ الجولان مثل الأقصى وفلسطين والعراق ولبنان. سورية تجمع شمل العرب ــ سورية بابها مفتوح للجميع .

إن ما ورد في كلمات الأغاني المعبرة عن القضايا السياسية ليس غريباً عن ثقافة المجتمع السوري فالجولان المحتل يستحوذ على اهتمام الجميع السياسيين والشعب بفئاته كلها في سورية، وشكلت قضية الجولان منذ احتلاله عام 1967 قضية رئيسة وهي في أولويات السياسة السورية.

فتحرير الأرض المغتصبة هو الهدف الأساسي وموقعه في المقدمة من سُلّم الأولويات الوطنية .

فلا مساومة على الجولان ولا استسلام وقضيته مثل قضية القدس وفلسطين وكل أرض عربية محتلة فالنصر آتٍ للجولان مهما تعنَّتَ العدو الصهيوني وسيعود الحق المغتصب إلى أهله وتعود أرض الجولان المحتل لتعانق أمها سورية.

والخطاب السوري الملتزم الثابت، والقومي، المبدئي ما زال هو الخطاب المتمسك بالشرعية الدولية وبالعدل والسلام. وما زال السعي لإحلال السلام العادل المشرف وتحرير الأراضي العربية المحتلة إلى حدود الرابع من حزيران عام 1967.

ولذلك جاء الموضوع السياسي في الترتيب الأول ضمن الموضوعات الأساسية، فأغنية اسمك غالي، تعبّر عن حق العودة وعن الحرية للوطن، والشعب الموحد تحت راية واحدة مع تأكيد عودة تراب الجولان. وسورية بابها مشرع للجميع وقلبها يجمع العرب كلّهم وهي فخر الأمة العربية:

اسمـــك غالـــي

اسمك غالي ومجدك عـــالي وشـــموخك والله منـــصان
أرضك عـــز ترابـــك كنـــز ونحنا رجالـــك يـــالجولان
بحبـــك أنـــا وشـــو فخـــور ومن حقي أرجـــع عالـــدور
عالي رح يبقـــى هالـــسور يـــا أعظـــم كلمـــة حريـــة

نحنا رجالك يا سورية

يـــا عـــالم قـــوم واســـمع ســـورية للعـــز مـــصنع
شعب موحد وراية بتجمـــع خير ومجد وشمس بتستطع

ترابك راجع لسورية

عهد علينـــا نبنـــي ونرفـــع ونخلـــي هـــالكون يقـــشع
كيف سورية بابها مـــشرع وجوا قلبها العرب بتجمـــع

يا فخر الأمة العربية

وفي أغنية الجولان، الجولان عزيز كالأقصى وفلسطين والهوية جولانية والهوية السورية لا يمكن التخلي عنها.

الجـــــولان

الجولان عم بينادينا ثوار نحنا جايين

لنكـــسِّر هالليـــل الغـــادر حتى يعـــرف نحنـــا مـــين
القوة بتكبـــر عـــا أيـــــدينا وجـــسور العـــزة مـــدّينا
ســـورية الحـــرّة بعيـــنينا الهويـــــــة جـــولانيين
نادانـــا الواجـــب لبيـــــنا كـــل الأخطـــار تحـــدينا
الجـــــولان لْبيعـــز علينـــا متل الأقـــصى وفلـــسطين
ومـــن أجـــلو فدائييـــن

ب. الموضوع الوطني:

ضم الموضوع الوطني مجموعة من الأغاني التي حملت مفرداتها المعاني الوطنية منها، تمسك أهل الجولان بالهوية ــ قيمة الجولان بأرضها وإنسانها ــ شعب الجولان أبي ــ تاريخ الجولان حافل بالبطولات ــ أهل الجولان وقضية الوطن ــ الدفاع عن الوطن ــ الشهادة في سبيل الوطن.

عبَّر كُتّاب الأغنية من خلال الموضوعات الوطنية عن المواطنة التي يتمتع بها أهل الجولان وهي وعي وممارسة في الانتماء للوطن، "فالمواطنة بالوعي والكيان الفاعل والإرادة، ذلك كله يجعل مصلحة الوطن والوعي بالتحديات التي يواجهها والذود عن أرضه وحماه في قمة الأولويات" (السيد، 2010، 10).

فأبناء الجولان المحتل ينتمون إلى وطنهم الأم سورية، وولاؤهم لهذا الوطن الذي ينتظرون عودتهم إليه فانتماؤهم فوق أي انتماء، فهم يشاركون الوطن في المناسبات الوطنية كلّها ويقفون على الشريط الحدودي في يوم الأرض حيث تصدح أصوات الأمهات عبر مكبرات الصوت تنادي أبناءَها، وكذلك يفعل الآباء وهم يهتفون بعودة الجولان إلى أمه سورية .

وقد عبَّرت مفردات الأغاني عن هذا الانتماء الوطني الذي يعيشه أبناء الجولان المحتل ... وهذه الأغاني عندما يسمعها الإنسان السوري داخل الوطن أو في الأرض الجولانية المحتلة تزيد من تمسكه بانتمائه وبأرضه ووطنه .

إن الانتماء الوطني بين أبناء الشعب السوري انتماء تجلّى منذ القديم في الحركات التحررية من الاحتلال التركي والفرنسي، ويتجلّى في النضال ضد العدو الصهيوني المحتل للجولان السوري ، والأغنية السورية عبَّرت منذ القديم وحتى يومنا هذا عن هذا الانتماء والتربية على حب الوطن ، فالوطن أغلى ما يملكه الإنسان.

وتعبّر الأغاني الموجهة للجولان عن الموضوع الوطني، فأغنية الجولان قطعة من الجسد جاء فيها بداية في الموال ثم الأغنية:

جولاني أنا والأرض أرضي
ما برضى غير شعبي يعيش بأرضي
بدي عيش كل العمر
أرضي ضميري اللي عشق حبات التراب
جولان قطعة مـن الجـسد سـوري الهويـة والـسند
مهمـا الخريطـة يغيبـوا بـضـل إلـنا للأبـد

يا أرض حرة طيبة
يا شعب جولان الأبي
أصلك يعربي
ما عاش يزعلك أحد
وبضل إلنا للأبد
أرواحنـا بتـرخص إلـك
وقلوبنـا بتتأملـك
بكـل الـدني مـا منبـدلك
تاريخنـا علينـا شـهد

جولان قطعة من الجسد

سـوري الهويـة وبضـل إلـنا للأبـد
مهما قسي عليـك الـزمن أو طالـت ليـالي المحـن
بتعـود لأحـضان الـوطن مـشعال عـزة للبلـد

جولان قطعة من الجسد

ج. الموضوع الإنساني:

تشكل القضايا الإنسانية التي يعيشها الأهل في الجولان المحتل مسألة مهمة على الصعيد الإنساني، فالشوق والحنين إلى رؤية الوطن الأم سورية والعودة إلى ربوعه والتخلص من هذه الحواجز الصهيونية التي تقف عائقاً وتشكل عذابات إنسانية لأهل الجولان ... وكذلك الحنين إلى ملاعب الصبا وإلى جمال الجولان وحتى إلى نسيم هواه وإلى برد ثلجه ذلك كلّه جعل الأخوة والمحبة تزداد بين أبناء الجولان وحب الجولان يجمعهم ، فالأرض هي العرض والإنسان يحافظ على عرضه وعلى أرضه .

وتعبّر الأغاني المدروسة والخاصة بالجولان المحتل في كل أغنية منها عن هذا البعد الإنساني الذي يتداخل أيضاً مع السياسي والاجتماعي والوطني والديني ... فالأخوة والمحبة تجمع أهل الجولان والحب يكللهم بحب الأرض وذرى جبل الشيخ وهاماته البيضاء .. وما أجمل صوت الطفلة يصدح في أغنية (في عيوني يا جولان):

منـك سـرقوا الأمـان حرقـوا ورق الريحـان
الله خلـق الأوطـان عربيـة كلهـا جنـّة
فـي عيـوني يـا جـولان حبك وفـي قلبـي كمـان
أهـلك جـوات عنينـا وهو اللـي غـالي علينـا
والله وأرضـك أمانينـا بأرضك نرقص ونغني ....

إن الطفلة تحلم بعودة الجولان لترقص مع الأطفال وليغني الجميع أغنية المحبة فوق تراب الجولان .

فالجولان أمه سورية الأمجاد كما جاء في عنوان هذه الأغنية التي تعبّر عن حب الجولان فهو مصدر الفرح والحياة :

سورية الأمجـــاد

يا موطن الأحـــرار أم العـــالم يا نشوة الذكرى وطيب الموســـم
سورية الأمجاد أنـــت المبتـــدا والمنتهى وحـــضارة لـــم تكـــتم
لولاكِ لم ترسم مفـــاتيح الـــسنا أو تسمع الـــدنيا حفيـــف الأنجـــم
أهواكِ والقلب المتـــيّم مـــالكي وهواكِ مصدر فرحتي وترنّمـــي
أمواجك الزرقاء نسغ حُشاشتي وسفوحك الخضراء أصل تبسّمي
من أعيني أسقي هضابك والربا والعين تفضح كـــل قلـــب هـــائم
لجوارحي أنت الحياة وإن أمُت بترابك الـــوردي تحيـــا أعظمـــي

د. الموضوع الاجتماعي:

أدى احتلال الجولان إلى وجود قضايا اجتماعية يعيشها أهل الجولان من خلال بعدهم عن الوطن الأم سورية وعن أهلهم ، فعلى مستوى الأسرة انقسمت الأسرة إلى قسمين قسم يعيش في الجولان المحتل والقسم الآخر يعيش في سورية ، وفي داخل الوطن الأم يعيش أهل الجولان في مناطق متفرقة وفي محافظات عدة في دمشق ــ ريف دمشق ــ درعا وغيرها .

ومازال بعضهم يعيش في مخيّمات تفتقر إلى كثير من أسس الحياة مثل مخيّم اليادودة في محافظة درعا.

كما أدى النزوح بسبب الاحتلال إلى هجرة الأدمغة ومنهم اليوم في أوروبا يحتلون مواقع مهمة خاصة الأطباء منهم ، كما سافر عدد من أبناء الجولان للعمل في دول عربية بعدما هدم العدو منازلهم ولم يُبقِ لهم أي شيء .

فقد كانت الجولان بخصب أراضيها ووفرة مياهها وصناعتها وآثارها المهمة مصدراً أساسياً للدخل، وكانت تصدر منتجاتها إلى أسواق دمشق وريفها حيث "اعتمد النشاط البشري للسكان قبل الاحتلال على الزراعة وتربية المواشي واصطياد السمك من بحيرة طبريا وبحيرة مسعدة " (الإبراهيم ، ص 18) .

وبعد الاحتلال وما سببه من تشتت الأسرة الجولانية ومن بطالة ونقص في المال وغير ذلك، ذلك كلّه تجلّى في معظم الأغاني الخاصة بالجولان .

ويتجلّى اللقاء بين الأسرة في الجولان وباقي أفراد الأسرة في الوطن الأم في اللقاءات التي تتم على الحدود بمكبرات الصوت .

إن احتلال الجولان فرّق الأسرة اجتماعياً، وهذا ترك شرخاً اجتماعياً في الأسرة يتجلى في حرمان الأهل من لمّ شمل الأسرة .

وتعبّر أغنية (جولان وأنت عزنا) عن هذه القضايا الاجتماعية وأغنية (قلوب عم تغلي غلي ليوم يجمع شملنا) هذا اليوم الذي يتطلع إليه أهل الجولان يلّم شمل الأسرة .

وفي أغنية (أنا جولانية) يتجلى الوطني والاجتماعي والإنساني ويبيّن كيف هدم العدو بيوت أهل الجولان:

أنـــا جـــولانيـــة
يامحتلين عن أرضي فلوا
جاي اليوم اللي ترحلوا وتفلوا
وتعود الجولان عروس العرب
منعوني أدخل أرضي حرموني الحرية
لا لا لا لا هيدي بلادي وأرض أجدادي
ونحنا صحاب القضية
هدولي بيتي وعدموني بيتي

لكن بعده وسلاحي صوتي
هيدي بلادي وأرض أجدادي
ونحن أصحاب القضية
بعزم وإصرار رح منكمل المشوار
أنا جولانية والهوية عربية ..

وفي أغنية (سطوح الجولان) يعبّر فيها الأطفال عن الحياة الاجتماعية في الجولان، فما أجمل الأسرة الممتدة التي تضم الجد والجدة، وتعبّر هذه الأغنية عن شوق الأطفال إلى تلك الحكايا التي يحكيها الأجداد لأحفادهم .

طلعنا جبال نزلنا جبال
ومشينا جبـــال
أخـــوة كـــنا
وأخوة منبقى
اشتقنالك يا جدي
شومشتقلك يا جدي
كون حدك يا جدي
وتحكي لي شو مخبي بقلبك
شومشتقلك
بعدك عايش فينا
حاضرنا وماضينا
وعمّره الزمان
لدور العالم يا جدي
وأحكي أحلى حكاية
حكاية مجد السوريين

والنصر الجاي
وحكايات لياليا
يا تراب الجولان
يا تراب الجولان

هـ. الموضوع الديني:

يؤمن أهل الجولان المحتل بأن الله تعالى سينصرهم على العدو المغتصب إن عاجلاً أم آجلاً. ولذلك فإن إيمانهم بتحرير الأرض وعودة الجولان إلى أمه سورية يرافقهم دائماً. وتأتي مفردات الأغاني الخاصة بالجولان لتعبّر عن ذلك في أغنية الله أكبر، ومما جاء فيها:

أرواحنا تفدي الجولان
إصرار وتحدي وإيمان
تبقى راياتك مرفوعة
جولان إلنا رجوعه
الله أكبر الله أكبر الله أكبر
يا أمي انسي الأحزان
بكره رح ترجع الجولان
منسقيها من رموش العين
ومنعمرها حتى تكبر
الله أكبر الله أكبر الله أكبر

وكذلك تعبّر أغنية (أبشر يا جولان) أن العودة قريبة بإذن الله :

رغم الألم والآه راجع بإذن الله
مثــل المــارد ضلــك صامــد
يا أغلى الأوطان

بالعز والإيمان وبعون الرحمن
ما منساوم رح منقاوم
ليعود الجولان
أبشر يا جولان
بتبقى يا جولان الأرض والإنسان
عربي سوري ما بتتغيّر ع طول الزمان
بالعز والإيمان وبعون الرحمن
ما منساوم رح منقاوم ليعود الجولان
ليعود الجولان ، ليعود الجولان

هكذا تصدح الحناجر وتغني بعودة الجولان حيث يختلط السياسي بالديني أيضاً فلا مساومة بل مقاومة وبعون الرحمن سيعود الجولان.

سابعاً- نتائج البحث:

أ. النتائج على مستوى تحليل المضمون:

بيّنت نتائج تحليل المضمون للأغاني الخاصة بالجولان المحتل أنها تهتم بقضايا سياسية - وطنية إنسانية - اجتماعية - دينية .

1- ضمت الأغاني موضوعات مختلفة رئيسة منها (سياسي - وطني - إنساني - اجتماعي - ديني) وقد جاء في الترتيب الأول الموضوع السياسي بنسبة مئوية قدرها (28.010%)، وفي الثاني الموضوع الوطني بنسبة مئوية قدرها (22.25%)، وجاء الموضوع الإنساني في الترتيب الثالث بنسبة مئوية قدرها (19.63%)، تلاه الموضوع الاجتماعي بنسبة مئوية قدرها (18.32%)، وأخيراً الموضوع الديني (11.78%).

2- بيّنت النتائج أن مضامين الأغاني في المفردات السياسية والوطنية والإنسانية والاجتماعية والدينية يتداخل في مضمون الأغنية، وهذا عائد إلى أن الجولان لا

ينفصل فيه السياسي عن الوطني أو الاجتماعي أو الإنساني أو الديني، فالجولان قضية متكاملة في أبعادها السياسية والوطنية والاجتماعية والإنسانية ... الخ.

3- مع قلة الأغاني الخاصة بالجولان إلا أن هذه الأغاني تعبّر تعبيراً جيداً عن قضية الجولان.

4- كتبت الأغاني بالفصحى وباللهجة المحكية حتى تلبي رغبات الجمهور المستمع وأذواقه.

5- تميّزت ألحان الأغاني الجولانية بأن لها طابعاً مميزاً يعبر عن الجولان وتراثه الشعبي.

وأخيراً: إن ما ضمته مفردات الأغاني الموجهة إلى الجولان تحمل في كل مفردة قيمة تُنقل عبر الأغنية إلى المستمع في كل مكان وتعبّر عن قضايا مختلفة سياسية، ووطنية، واجتماعية، وإنسانية .. الخ. وتبعث الأمل بأن الجولان عائد إلى أهله وأن الحق لا بدَّ أن ينتصر مهما تعنّت العدو الصهيوني. والجولان عربي وسيبقى، وما اتبعه العدو منذ عدوان حزيران 1967 حتى الآن من قتل وعدوان واعتقال، وانتهاج سياسة الأرض المحروقة في محاولة لطمس معالم المنطقة وتاريخها وهويتها، بقي الجولان عربياً والتاريخ يسجل بأحرف من نور صمود أبنائه وستبقى أشجار السنديان والليمون تحكي كل يوم حكاية من المجد والصمود.

ب. مقترحات البحث:

1. الاهتمام بالأغنية الخاصة بالجولان .
2. العمل على تنويع هذه الأغنية بما يناسب المراحل العمرية كلّها.
3. حث كتّاب الأغاني على كتابة أغانٍ للأطفال يغنيها أطفال الجولان.
4. العمل على بث الأغاني إذاعياً وتلفزيونياً ونشرها عبر الإنترنت من خلال موقع الإذاعة والتلفزيون.
5. إقامة مسابقة كل عام لانتقاء أفضل الأغاني الخاصة بالجولان .
6. التركيز على كتابة الأغنية الموجهة إلى الجولان باللغة العربية الفصحى مع وجود أغانٍ باللهجة المحكية لأهل الجولان.

المراجع

- الإبراهيم، محمد عبدو (2003)، الجولان بين مطرقة الاحتلال وسندان التلوث دمشق.
- إنشراح المشرفي (د. ت)، أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية، موقع جامعة أم القرى، (https://uqu.edu.sa/page/ar/106557).
- بوبس، أحمد (2011)، فلسطين في الأغنية العربية، دراسات موسيقية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، دمشق.
- دياب، محمد مفتاح (1995)، مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، الدار الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، كندا.
- رمضان، محمد خالد، وعبد الله ذياب الحسين (2010)، التراث الشعبي في الجولان ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة ، دمشق.
- رمضاني، مصطفى (1994)، خصائص مسرح الطفل ومكوناته، مجلة المشكاة، (المغرب)، العدد الثامن عشر.
- السيد، محمود (2010)، دراسات تربوية، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- عبد الفتاح، إسماعيل (2000)، أدب الأطفال في العالم المعاصر، الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- عتيق، عبد العزيز (1976)، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.
- مرتاض، محمد (1994)، من قضايا أدب الأطفال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/12/31